دور نصارى العراق في نشر الكتابة العربية وتطورها حتى نهاية العصر الراشدي

شيماء عبد الباقي محمود

جامعة تكريت / مركز صلاح الدين الايوبي للدراسات التاريخية والحضارية

ملخص البحث:

من القضايا التاريخية الهامة التي مازال الجدل يثار حولها ولم تحسم مسألة مكان وزمان ظهور الكتابة العربية ونضوجها وكيفية انتشارها بين الحواضر العربية قبل الإسلام .

ومن المعروف أن الباحثين اليوم متفقون على أن الكتابة العربية قد اشتقت من النبطية والتي كانت قد تطورت بدورها عن أصلها الآرامي في بلاد الشام, واستندوا بذلك على النقوش الكتابية التي تم العثور عليها في بعض أقاليم بلاد الشام وخاصة نقش النمارة المؤرخ سنة328 م , ونقش زبد المؤرخ سنة512 م , ونقش حران المؤرخ سنة 568م . وهذا يعني أن الكتابة العربية الشمالية قد بلغت مرحلة التحول النهائي في حدود او منتصف القرن السادس الميلادي , وانها انتقلت الى العراق مع هجرة النصارى الذين توافدوا على مدن العراق وخاصه الآنبار اولا ثم الحيرة . ومن المحتمل أن الصلات المتبادلة بين الغساسنة والمناذرة ولاسيما بصرى والحيرة كان لها أثرها البالغ في نقل أصول الكتابة العربية الى العراق .

والمسألة المهمة الأخرى ان النصرانية قد انتشرت بين أهل الشام بما في ذلك مجتمع الغساسنة وانتقلت الى العراق منذ القرن الثالث الميلادي , وأن أهل الحيرة قد تنصروا منذ

القرن الرابع الميلادي وشيدوا الكنائس والأديرة التي كانت تضم مدارس لتعليم الصبيان القراءة والكتابة , ورغم أن بعض الباحثين المحدثين يعتقد أن نصارى العراق كانوا يكتبون بالقلم السرياني ولذلك فأنهم ينكرون عليهم فضل تطوير الكتابة العربية ونشرها , ولابد من القول أن هذا الكلام صحيح في إطاره العام حيث أن الكنائس في مدن العراق ظهرت فيها مدارس دينية نصرانية , وكانت تلك المدارس تدرس العلوم المختلفة بالسريانية , ومن أبرزها مدارس المدائن وكسكر ومدارس مدن شمال العراق .

لكن الاكثر قبولا هو أن الكتابة العربية أنتقلت مع التبشير بالنصرانية وما رافقها من تعاليم دينية , فكان أتجاه سيرها من بلاد الحجر) مدائن صالح , (والعلا وتيماء وأنتهاء بالآنبار والحيرة .

وتؤكد الباحثة Abbott أن النصارى هم الذين كتبوا نقش) حران وزبد (وهذا يعني أن منشأ الخط العربي كان جنوب بلاد الشام وعلى أيدي النصارى , وبعد أن رحل هذا الخط مع الخط التجاري الذي اتجه شرقا نحو العراق وجد من يطوره في الآنبار ومن ثم بشكل اكثر في الحيرة عاصمة الدولة اللخمية بحكم الحاجه الى التدوين في بلاط المناذرة وحاجة نصارى الحيرة الى تعلم الديانة النصرانية في كنائسهم وديراتهم وكان هؤلاء النصارى من مختلف القبائل العربية عصر ذاك . ولذلك نجد أن مجموعة من الكتاب ظهروا في الحيرة وأثروا في من وفد اليها من باقي حواضر ومدن العرب مثل صاحب دومة الجندل أو من تجار مكة والجزيرة العربية , فأدى ذلك الى انتقال الخط العربي الى مدن الحجاز وذلك للحاجة الماسه لتعلمه , اما مدن العراق النصرانية الاخرى فبقت تكتب السريانية وذلك لان أغلب سكانها كانوا من غير العرب .

وهكذا جاء الأسلام ووجد الكتابة العربية معروفه في الحجاز , ودليل ذلك ظهور مجموعة من الكتاب في مكة والمدينة عرفوا بكتاب الوحي ودونوا القرآن الكريم والآحاديث الشريفة .

وبعد أن تم فتح العراق في عهد الخليفة عمر) رضى (ومصرت البصرة والكوفة , وصار المسلمون بحاجة كبيرة الى قراءة القرآن ولدواعي الضرورة وصلتنا نصوص أن اغلب الذين أجروا لكتابة المصحف كانوا من نصارى العراق , ولذلك

نخلص بالقول أن نصارى العراق كان لهم الفضل في نشر الكتابة العربية وتطوير الخط العربي .

البحث:

ترجع جذور الكتابة العربية واصولها الأولى الى الشعب الآرامي الذي تمكن من اكتشاف أول أبجدية) حروف الهجاء (في التاريخ .

والمعروف أن الآراميين شعب سامي خرج من شبه جزيرة العرب في حدود الألف الثاني قبل الميلاد بسبب ظروف المناخ ومالحقها من جفاف وقحط , ثم أندفع نحو الشمال واستقر في سوريا ولبنان حوالي سنة 1500) ق.م , (وقد أحتكوا بالاشوريين في عهد الملك تجلاشبلازر حوالي 1100) ق.م (بعد أن حاولوا عبور نهر الفرات نحو العراق . [1]

وتوغل الآراميون في أعالي بلاد الشام , واستقروا وكونوا عددا من الدويلات منها إمارة سمأل بين أنطاكية ومرعش , [2] ونتيجه لهذا الامتداد الواسع حظيت اللغة الآرامية بأنتشار واسع في الدول التي أمتدت خلال بدايات الألف الأول ق.م , في المناطق التي عرفت بأسم سورية العليا على سفوح جبال طوروس , [3] وأخذت اللغة الآرامية تنافس اللغة الاكدية منذ القرن السابع ق .م عندما إختارها الملوك الاشوريين كلغة سهلة ومفهومة بين جميع الشعوب التي خضعت لهم , وبقيت اللغة الآرامية بين سكان الشرق الادنى حتى الفتح العربي . [4]

حظيت اللغة الآرامية بأنتشار واسع ونفوذ كبير , وذلك بفضل نشاطهم التجاري الواسع الذي غطى معظم بلدان الشرق الادنى القديم , وفي ذلك يقول أحد المؤرخين)) : وقد أنتشرت مع التجارة اللغة الآرامية , التي أنتشرت شمال غربي مابين النهرين , وقد أصبحت لغة أقطار الشام , وتغلغلت في بلاد فارس , وانتشرت بين الشعوب المجاورة لها , ثم أمتدت الى وادي النيل وأسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى الحجاز , وبقيت دهورا طوالا اللغة الرسمية والتجارية للأمم الحية في القرون الأولى قبل الميلاد في بابل وأشور وفارس ومصر وفلسطين , وحلت اللغة الآرامية محل اللغة الكنعانية ,

وظلت اللغة السائدة في البلاد حتى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي عندما أخذت اللغة العربية تحل محلها . [5]

وأنقسمت الآرامية نتيجة لهذا الآنتشار الواسع الى عدة لهجات منها الآرامية القديمة وتحتوي على آرامية النقوش , والآرامية الدولية الفارسية , وآرامية الكتاب المقدس , والآرامية اليهودية , والآرامية الفلسطينية المسيحية , والآرامية النبطية , والآرامية التدمرية , وآرامية التلموذ البابلي , وآرامية الصابئة المندعية , واللغة السريانية , وقد أخذت العربية عن اللآرامية الكثير من الفاظ الحضارة خاصة في مجال الزراعة , والتجارة , والآدارة , والصناعة , وكانت وسيلتنا لدخول العديد من الالفاض اليونانية واللاتينية في العربية خاصة في مجال علوم الطب والصيدلة والفلك وغيرها , [6] وكان من أثار النفوذ الذي إكتسبته اللغة الآرامية أن)) عرب الشمال أخذوا أبجديتهم التي كتب بها القرآن من الآرامية التي استعملها الأنب. [7]

تحول الخط الآرامي الى الخط النبطي والسرياني :

تمثل اللهجة النبطية الآرامية التي استخدمها الأنباط العرب بداية انشقاق أو ولادة الخط النبطي العربي من الرحم الآرامي , [8] اذ قامت في اوائل القرن الرابع قبل الميلاد دولة الأنباط العربية , وأمتدت من خليج العقبة الى دمشق وشملت معظم شمالي جزيرة العرب , وكانت عاصمتها سلع أو البتراء , وكان العرب في البتراء يستعملون الآرامية في الكتابة مع أنهم كانوا يتكلمون العربية , [9] يقول أحد المؤرخين)) : أن الكتابات المختلفة التي نقشت على قبور سلع تدل على أن الأنباط قد اصطنعوا في هذه النقوش اللغه الآرامية التي كانت لغتهم الرسمية . [10] ((

ويرجع جويدي في هذا الأمر الى أن الأحرف الهجائية لم تكن قد استنبطت بعد عند العرب , فلما ظهرت الحاجة الى الكتابة عند عرب الشمال كان من الطبيعي أذن ان يأخذوا أبجديتهم التي كتب بها القرآن من الآرامية التي استعملها الأنباط [11]

كان الأنباط يتكلمون باللغة العربية الى جانب اللغة الآرامية , وكانت لغة النصوص النبطية والنقوش الأثرية مكتوبة باللغة الآرامية التي كانت منتشرة في جميع أرجاء الشرق

الأدني أنذاك , كما استعمل الأنباط اللغة الآرامية في الكتابة على نقودهم وفي النقش على أبنيتهم , ثم أخذ استعمالها يقل في ذلك تدريجيا , وفي منتصف القرن الأول ق .م أصبح لهذه النقوش طابع مميز ذو صفه ثابتة , ا ذ كان الأنباط قد حوروا الخط الآرامي مع مرور الزمن حتى تحول الى خط عرف بأسم) الخط النبطي , (وبهذا الخط دونت النصوص العربية في شمال الجزيرة العربية , [12] وان اقدمها نقش أم الجمال والمؤرخ بسنة270 م , قيل إنه نبطي لكنه يمتاز بترابط الحروف وأول شكل في بناء خطنا هو ترابط الحروف , أما النقش الثاني الذي جاء بعده هو نقش النمارة والمؤرخ بسنة328 م , والذي يظهر أنه عربي به شي من الأثر النبطي , أما النقش الثالث فهو نقش زبد المؤرخ بسنة512 م , وأما نقش حران فمؤرخ بسنة568 م , والنقشان الاخيران لايختلفان كثيرا عن الخط الذي كتب به القرآن الكريم , وقد كتب به رسائل النبي) صلى الله عليه وسلم (الى الملوك والأمراء وغيرهم , [13] وعن الخط النبطي أنبثق خط النسخ الذي يماثل من حيث القدم الخط الكوفي وينسب للكوفة والحيرة . [14]

لجأ الأنباط الى العراق ونزلوا في جهات البطائح من أسفل الفرات ومنهم من ظلوا بالأردن وطنهم , ومن هنا نرى عاملا لاينكر في أن الأنباط هم أساس اشتقاقهم لخط نبطي عربي من الأصل الأرامي , وانتشار هذا الخط في الجهات العربية ودون الفرات , وبعد ذلك عرفه اخوانهم في شمالي الحجاز والجزيرة العربية وغيرها اسهل وأحسن من الخط المسند الذي كانوا يكتبون به منذ عهود قديمة فأرتضوه وأتخذوه بديلا عنه , ونحن نعلم أن الثموديين واللحيانين والصفويين سكان شمالي الحجاز والعرب جميعا كانوا يستعملون الخط الجنوبي منذ قرون بعيده قبل الميلاد على نحو ماذكرت , وبد ذلك يبدوا أنهم جميعا عقدوا النيه على أن يتخذوا الخط النبطي بديلا عنه منذ أن شاع فيهم لما رأوه أسهل وألين من الخط المسند الصعب. [15]

وقد ذكر خليل يحيى نامي أن الكتابة العربية هي عبارة عن تطور الكتابة النبطية , وانها تحمل نفس مميزاتها وسماتها , [16] وبعد أن تم القضاء على دولة الأنباط على يد الأمبراطور الروماني تراجان سنة 106 م واقام مكانها اقليما رومانيا عربيا [17] ظلت الأرامية لغة الكتابة بعد أن سقطت دولتهم لمدة مائتي سنه , ثم نسوها وبدأوا يكتبون

العربية بحروف آرامية , [18] وبعدها بدأت فعالية السريان النصارى تتضح في نقل الحضارة النبطية والتدمرية والتي أتضحت أثارهم بشكل ملموس في حضارة الغساسنة والمناذرة , [19] اذ أن القلم السرياني منحدر انحدارا مباشرا عن القلم الآرامي , وان أقدم ماوصل الينا من نقوش سريانية تعـود الى سنة73 م , وان الأسباب التي حملت علماء الساميات الى الجزم بأن النبط إعتمدوا في قلمهم أساسا على القلم الآرامي يرجع الى شكل الحروف وعددها والى أمور مشتركة متعددة اخرى بين القلمين منها الوصل والفصل وطريقة كتابتها ثم عددها وترتيبها الأبجدي . [20]

إنتقال الخط والكتابة العربية الى العراق عن طريق سوريا:

سكن العرب قبل الإسلام سورية بمدة طويلة وأستوطنوها منذ القرن الثاني الميلادي , أتوها على شكل موجات مهاجرة من الجزيرة العربية , ولم يلبثوا أن تمثلوا لغة السوريين الآرامية وحضارتهم , فأسماؤهم وأسماء آلهتهم كانت أحيانا آرامية , وكانوا يستعملون اللغة الآرامية في مراسلاتهم الدبلوماسية , وكانت المسيحية قد إنتشرت بكثافة في سوريه بعد أن تنصر القيصر قسطنطين عام 313 م , وصارت الدولة هي الراعي الرسمي للديانة النصرانية تشجع أتباعها وتساعد كنائسها [21]فكان أول واجبات الروم السعي في تنصير الشعوب الخاضعة لهم , ولهذا كانت من سياسة البيزنطين نشر النصرانية بين أتباعهم في الخارج وإرسال المبشرين والأغداق عليهم ومدهم بالأموال لنشر الدعوة وتأسيس مكاتب للتبشير , [22] إذن لقد وجدت النصرانية لها سبيلا بين عرب الشام والعراق [23] ودخل العديد من الأنباط في الديانة النصرانية , وكانوا ضمن سكان منطقة الشام والذين لم يغادروها , وإنخرطوا في السبيل الديني وغدوا رهبان وأساقفة , وغدا واجبا على هؤلاء تعليم إخوانهم من بني جنسهم الكتابة والتدوين ,لما ظهرت حاجتهم إليها مما ساعد على مزيد من تطورهذا الخط , ومزيد من الإنتشار , فضلاعن إنتشار المدارس السريانية والرومانية وكانت الإخيرة نظامية لا تختلف عن مدارسنا اليوم [24] وعلى هذا النحو إحتضن الغساسنة هذا الأمر وعملوا على المزيد من أجل انتشار الخط العربي , وأقاموا المدارس , وإستعانوا بالبيزنطيين ليساعدوهم في هذا , وقد إعتبر ملوك الغساسنة أنهم خلفاء لملوك النبط , وأنه لم يبق من ميراث الأنباط شئ مادى إلا هذه الكتابة , والأجدر بهم أن يراعوه ويعملوا على إنتشاره , [25] ودليل ذلك

المدارس العربية التي كانت قائمة عندهم سواء ملحقة بالأديرة والكنائس أو مستقلة .. ومن هذه الأمور المنافسة القوية التي كانت قائمة بينهم وبين الحيريين , وقد بدا لنا جليا وكما سيتم توضيحه في الصفحات القادمة أن المدارس والكتاتيب كانت منتشرة في الحيرة , أفلا يكون هذا داعيا لمحاكاتهم من باب المنافسة على إنتشار الكتابة والتعليم , وقد إستعمل السريان في كتاباتهم كثيرا من المصطلحات اليونانية , وكان هذا التأثير نتيجة طبيعية للعوامل التي مهدت له وأدت الى نتائجه , فلقد إختلط اليونان بالسريان إختلاطا كبيرا , كذلك إنتشرت الأديرة والمدارس التي إضطلعت بالنشاط العلمي الذي يتناول العلوم السريانية واليونانية على حد سواء , وقامت هذه الأديرة بدور العامل الفعال في تقوية النفوذ السرياني وهو ينفد على مهل الى الحياة العربية فيترك عليها طابعه , وأتيحت الفرصة للغة العربية لكي تصبح لغة كتابة يسجل بها تأريخ هذه الأديرة , [26] ومن القدامى من قال إن القلم العربي الشمالي قد قيس على هجاء السريانية ولكننا لا ندري المعنى الدقيق لذلك , وهل يعني أن ترتيب الحروف الهجائية في العربية الشمالية كان مشابها فقط في الترتيب للقلم السرياني , أو إن شكل الحروف العربية القديمة كانت تتشابه مع حروف السريانية , ومهما يكن من أمر فقد ذهب بعض المستشرقين المحدثين أمثال) كوب , وجستنس , وكوزان دي بيسيفال , ورينان , وشتاركي (الى أن العربية القديمة إستندت على السريانية وإن القلم السرياني منحدر إنحدارا مباشرا عن القلم الآرامي. [27]

أصبح الغساسنة ورثة للحضارات التي شهدتها منطقة الشام وكانت عاصمتهم بصري , وإستمرت لمدة أربعمائة سنة تقريبا منذ القرن الثالث الميلادي حتى ظهور الإسلام , وقد أتاح لهم موقع إمارتهم هذا التميز , كما قدر لهم أن ينقلوا تأثير السريان عن قرب , إذ نقل إليهم اليعاقبة الثقافة اليونانية ونشروها بينهم , وبنوا الأديرة , منها دير حالي , ودير أيوب الذي بناه عمرو بن جفنه , كما كثرت لديهم البيع والكنائس [28] والواقع أن الغساسنة قد نقلوا كأسلافهم الأنباط بعض عناصر أساسية في الحضارة السورية الى أقربائهم الأصليين في الجزيرة العربية وخاصة في الحجاز , [29] ونقلوا أيضا بعض الأفكار المسيحية وذلك بإرسال المبشرين إليهم لإقناعهم بالدخول بدينهم ,

ودعوتهم لزيادرة كنائسهم , وكان القسس والرهبان يردون أسواق العرب يعظون وينشرون تعاليمهم كل هذا ساعد على إنتشار التعليم بين عرب القبائل عصر ذاك. [30]

أما مملكة الحيرة فأمرها مختلف عن أمر مملكة غسان , أذ اصطنع الفرس إمارة الحيرة ليكفوا بها من يليها من بوادي العرب , وليستعينوا بأبنائها على حراسة قوافلهم التجارية التي كانت تتغلغل في الجزيرة العربية ولاسيما الى سوق عكاظ , [31] وقد سكنتها ثلاث طوائف هي) تنوخ , العباد , الأحلاف , (الى جانب الفرس والأنباط ومن سكان العراق الأصليين , وأهم العوامل التي جعلت منها منارة للعلم فيبدوا لنا من خلال هذه التركيبة السكانية والتي ضمت أصحاب عدة حضارات وهؤلاء جميعا لو لم ينقلوا إليها شيئا من حضارتهم لنقلوا أبسط أمورها وهي إنشاء المدارس والكتاتيب لأبنائهم [32] وأما غالبية أهل الحيرة فقد كانوا من الآراميين السريانيين الذين كانوا مسيحيين من قبل , ويبدوا أن هؤلاء العرب الذين تقبلوا النصرانية , إعتنقوا المذهب النسطوري واصبحوا نساطرة , فضلاعن دفاع الفرس عن النسطرة , وامداد يد المساعدة لها مما أمدها بمزيد من القوة. [33]

انتشار النصرانية في العراق:

ظهرت النصرانية في العراق في غضون المئة الأولى للميلاد , بعد أن استولى الفرثيون على العراق , وإنتشرت إنتشارا بسيطا , وترك سكانه المنتصرون إسمهم القديم وسموا أنفسهم سريانا تميزا لهم من الوثنيين. [34]

شاعت النصرانية في العراق في مطاوي المئة الأولى والثانية من حياتها فدان بها جموع غفيرة من الشعوب القديمة المبثوثة في أصقاعه , حيث تمتع نصارى وادي الرافدين بالحرية في عهد الجاثليق إبراهيم الكسكري) ت 120 م , (وفي رئاسة عبد المسيح أسقف إربيل) ت 216 م , (وفي أيام الجاثليق أحاد أبوي) ت 220 م , (

وقد عاشوا عيشه خالية من الأبهة يرممون ماتهدم من معابدهم ومساكنهم ومدارسهم , يهذبون أبنائهم تهذيبا علميا دينيا , وقد شاهد نصارى العراق تقلبات الدولة الفرثية , فعاشوا بين الضيق والرخاء , والحرب والأمن , وإعتنوا بمصالحهم الروحية والإجتماعية [35] .

ولكن تعرض نصارى العراق الى الإضطهاد على أيدي الملوك الساسانيين في هذه الفترة ومنهم الملك الساساني سابورا الثاني ذو الأكتاف 379 – 309) م (الذي فرق شملهم وإستأصل شأفه معابدهم الدينية والعلمية , وبعد موت الملك سابور وعلى آثر الصلح الذي تم بين الروم والملك يزدجرد الأول 420 – 399) م (في فاتحة المئة الخامسة , عم السلام وأستتب النظام بين المسيحيين , والذي تم على أيدي وبمساعي مار ماروثا أسقف ميافارقين) ت500 م , (ومار أسحق جاثليق المدائن) ت410 م (,فاستأنف المسيحيون أعمالهم واعادوا انتخاب رؤسائهم وأسسوا مجامعهم ورفعوا دعائهم كنائسهم ووسعوا غرت مدارسهم وجددوا بناء ديرتهم [36] وقد ظهرت في هذه الفترة تعاليم نسطور وأوطاخي وانتشرت في العراق فالمسيحيون اللذين تبعوا مذهب نسطور سموا نساطرة أو سريانا شرقيين والذين إنضووا الى لواء أوطاخي سموا يعاقبة أوسريانا غربين , [37]ولجأ النساطرة الى البلاد التي تحكمها الدولة الساسانية غير المسيحية والتي لم تكن تهتم كثيرا بالتبشير الديني أو بأنتشار دياناتها , بل ربما وجدت بالنساطرة اللاجئين أعوانا لها محتملين ضد الامبراطورية البيزنطية , ولذلك استقبلت النساطرة وساعدتهم [38] .

وقد أسس النساطرة مدرسة في الرها واخرى في نصيبين وهي مراكز لاهوتية ومراكز دراسات وبحث , وقوي نفوذهم وأنتشر مذهبهم في العراق في أمارة الحيرة والقبائل العربية وشبه جزيرة العرب وبعض مناطق سوريا ولدى بعض نصارى اليمن والحجاز , [39] فأما مدرسة الرها فقد أصبحت أهم مركز ثقافي في المنطقة الشرقية لمدة قرن وربع القرن ,وتخرج منها جملة من العلماء الذين نشروا الثقافة السريانية في الشرق , [40] وأصبحت أهم مراكز اللغة السريانية , ولما دخلتها المسيحية في مستهل القرن الثاني اكتسبت هذه اللغة نفوذا سما بها الى أن ينقل إليها الكتاب المقدس , وأن يتخذها المسيحيون لغة لهم وتصبح الوسيلة المعبرة عن الثقافة المسيحية , [41] يقول أحد

المؤرخين)) : أن الترجمات الرئسة للتوراة السريانية قد وضعت هناك في آواخر القرن الثاني , [42] ((وبالرغم من أن تعلم اللغة كان مقصورا على أبناء الأغنياء الا أن بعض الآدباء كانوا يؤلفون بها ثم تنقل كتبهم الى اللغة السريانية لكي يفهمها سائر الناس , كذلك استعمل السريان في كتاباتهم كثيرا من المصطلحات اليونانية وانتشرت الأديرة والمدارس التي اضطلعت بالنشاط العلمي والذي يتناول العلوم السريانية واليونانية على حد سواء , اذ قامت هذه الأديرة بدور العوامل الفعالة في تقوية النفوذ السرياني. [43]

وقد أتيحت الفرصة للغة العربية لكي تصبح لغة كتابة يسجل بها تاريخ هذه الأديرة, اذ وجد في صدر هيكل دير هند الكبرى مايلي)) : بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك , وأم الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح وأم عبده, وأبنة عبده في زمن ملك الأملاك خسرو أنشروان , وفي زمن إفرائيم الاسقف فالإله الذي بنت له هذا البيت يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها , ويقبل بها وبقومها الى إبانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر , [44] ((والجدير بالملاحظه أن بقايا اللغة الآرامية كانت حتى ذلك الحين عالقة باللغة العربية , ومن ذلك مالوحظ في نقش النمارة وهو الآثر الذي حمل اسم امرئ القيس بن عمرو وتاريخ وفاته من اشتمال كلماته على الفاظ آرامية. [45]

أما نصيبين فقد أنتشرت المسيحية فيها سنة301 م تقريبا وكثرت فيها المدارس والكنائس والأديرة ومنها دير قنى والذي أسسه مرمارى في المائة الاولى وأنشا فيه مدرسة عرفت بأسمه وممن نشأ في الدير متي بن يونس , وأيضا دير الزعفران , ودير مرأوجي ,ودير مر يوحنا. [46]

النصارى والكتابة العربية في العراق :

لم يكن نصارى العراق غرباء او دخلاء عليه بل هم من سكانه القدامى أقاموا ومابرحوا يقيمون فيه منذ أقدم العصور , وقد دانوا بالنصرانية كما تقدم في مطاوي القرن الأول للميلاد [47] وتؤيد الأخبار أن مارأدي أحد تلاميذ المسيح الأثنين والسبعين , وتلميذه مار ماري بشرا بالنصرانية في نصيبين والجزيرة والموصل وأرض بابل والسواد وبلاد العرب وأرض المشرق في المائة الأولى للميلاد , [48] وبعد أن سيطر الساسانيون

على العراق إزدهرت النصرانية على الرغم من الإضطهادات التي كان ملوكهم يثيرها من وقت الى آخر , فوسع أنذاك أدباؤهم نطاق المعارف ونشر كتابهم ألوية العلم , ثم تسابقوا في حلبة الصنائع وأقاموا دعائم المدارس , وظلوا على هذه الحال الى قيام الدولة العربية الإسلامية. (49)

وكان عدد النصارى في أقاليم العراق لا يستهان به , إذ تفقه نصارى العراق في اللغة الآرامية منذ إنتشار النصرانية بل تفانى رؤساؤهم في تدريسها لرعاياهم حتى يقبلوا على قراءة الكتب المقدسة , فكانوا يتلون الأدعية بها في أثناء عبادتهم , وفي غضون حفلاتهم الدينية , وقد إنتشرت يومئذ في سائر الكنائس الشرقية تلاوة الكتب الإلهية وإنشاد المزامير , وأشاد أساقفة العراق في كل مدينة وقرية كنائس وأقاموا في داخلها وفي جوارها كتابا أو مدرسة يتعلم فيها أبناء طائفتهم القراءة والكتابة وسائر العلوم المعروفة في تلك الآونة ولا سيما المعارف الدينية , وساعد على إنتشار القراءة والكتابة وتقدمها في العراق الشباب العراقيون النصارى اللذين كانوا يقصدون بلاد الروم واليونان طلبا للعلم , (50) وإزداد عدد نصارى العراق إذ ذاك , وبلغت فتوحاتهم الدينية أوج مجدها وأنضوى الى لوائها جمهور من المجوس ذوي المناصب العالية في الدولة , ثم إزدحمت مكاتب معابدهم بالمصنفات , واكتظت حلقات مدارسهم بالطلاب , وهذا فضلا على الهمم التي بذلها الرهبان والأساقفة في تثقيف الشعب العلمي والادبي .(51)

إن دولة العلم كانت لدى نصارى الرافدين رفيعة العماد فسيحة الظلال حافلة بمئات من الرهبان والدارسين والباحثين والعلماء , وبعدد من الأطباء والشعراء والأدباء , وقد أتقنوا العلوم وبرعوا في الصناعات , (52) ومن أبرز العلماء المسيحيين العراقيين الذين خدموا الآداب على إختلاف أنواعها , وجدوا في نشرها بحنكة وإخلاص وتفان مهنم شحلوفا أسقف أربيل) ت 253 م (وكان من أنحاء بيت أرماني , ونشأ وتهذب في مدينة كسكر , زار المدائن لشؤون النصارى ودرس وعلم وشاد عدة مدارس في أطراف البلاد تقاطر إليها الطلاب من كل فج تخرجوا منها ونشروا العلم والحكمة في الآفاق .(53)

وفي أواخر القرن الرابع أيام بهرام الرابع 399 – 388) م (إلتمس الراهب العراقي مار عبدا) وهو عبد يشوع القناني (من جاثليق المدائن تومرصا 399 – 383) م (أن يشيد الأديرة في أنحاء البلاد , فلبى طلبه , وبني بإسم مارماري ديرا كبيرا في دير قني وألحق به مدرسة جامعة عظم شأنها حتى أصبح فيها ستون مدرسة , وخرج منها أساقفة وجثالقة وعلماء عديدون , [54] وشاد إبراهيم التنفري أواسط القرن السادس الميلادي عدة مدارس في حدياب , ووضع عدة رسائل عديدة بليغة , وأسس بولس المدرس غيرها وعلم في مدرسة إربيل أكثر من ثلاثين عاما , هذا عدا مدرسة بيت شاهاق في كورة نينوى , وقد حوت صفوفها نيفا وثلاثمائة تلميذ , ومدرسة بلد و الرستاق في مرج الموصل , وكرخ سلوخ) كركوك (ومدارس المدائن , وكسكر , والحيرة. [55]

بنيت هذه المدارس النصرانية الأولى في الكنائس , وأول كنيسة عراقية في المدائن هي كنيسة) كوخي العظيمة (التي أقام دعائمها مارماري , وبنى أخرى في دير قني , ثم أشاد الأساقفة كما تقدم في كل مدينة أو قرية كنيسة أو كنائس في داخلها مدرسة يتعلم رعاياهم بين جدرانها أصول الكتابة والقراءة وسائر العلوم المعروفة في تلك الأزمنة ,وقد طارت شهرة هذه المدارس في المعمورة وتصدر للتدريس فيها نخبة من الاساتذة , وتفقهوا في العلوم اللاهوتية وتعمقوا في تفسير الكتب المقدسة وتبسطوا في الطب والكيمياء والرياضيات , ولاعجب في ذلك فقد كان في العراق زهاء خمسين مدرسة نصرانية منظمة تعلم في صفوفها العلوم الآرامية واليونانية , وتفقه نصارى العراق في مطاوي هذه الأونة في أساليب لغتهم الآرامية الإنشائية وكانت لغة سكان مابين النهرين وأقطار الشام وتغلغلت في بلاد فارس وأنتشرت بين الشعوب المجاورة لها , [56] هذا فضلا على أن هرمزد بهرام الأول 272) .273 م (انشأ مستعمرات من أسرى الحرب الرومانيين , وكان بينهم من كان يفوق الفرس بالفن والهندسة والطب واستخدمهم في شؤونهم المهمة ومن هؤلاء الاسرى من نزل الحيرة. [57]

أما أشهر شعراء النصارى العراقيين الذين عرفوا في مطاوي الازمان نرسي) ت 507 م (ولد في معلثايا , وهو من فحول الشعراء الذين برعوا في كل علم وفن , فدعى الى نصيبين [58] وأعاد تأسيس كليتها الطائرة الصيت وأدار دفتها زهاء عشرين

عاما , وقد دعاه أدباء الآرمية لسان المشرق وشاعر النصرانية , [59] فضلا عن اشتهار الجاثليق إيشو عياب الجدالي) ت 647 م (فكان يسكن المدائن حينما فتح العرب أبوابها , فأبدى تبصرا في الأمور وأهتم بترقية العلوم وفتح المدارس المغلقة وخدم الآداب ووضع كتبا عديدة منقحة العبارة تدل على تضلعه من العلوم اللاهوتية. [60]

وممن جدوا في نشر العلوم في البلاد العراقية الجاثليق مارفثيون) ت741 م (فكان من أهل باجرمي , وأقام مدارس في كل مكان ولاسيما في المدائن , ومنهم كذلك باباي من مدينة جبيلة) أوائل المائة الثامنة للميلاد (وقد أرصد أيام حياته كلها لبناء المدارس وتنظيمها , وتعظيما لمآثره دعا أدباء الآرامية عصره بأسمه) عصر الاستاذ باباي جبلتايا , (فبنى في حدياب وحدها أكثر من ستين مدرسة متفاوته الصغر والكبر ودر عليها الأموال الطائلة , قال توما المرجي)) : برز باباي وأقبل على العمل وزاد في عدد المدارس في كل مدينة وقرية , وقام لأدارتها مدرسين لأكثرهم قدم راسخة في العلوم)) [61] .

لقد أهتم نصارى العراق أذ ذاك بآداب لسانهم وسعوا وراء العلم وجدوا وسهروا الليالي واجتهدوا , ونبغ منهم كتبة أفاضل ,ومنشئون جهابذه , وعلماء أعلام , وفلاسفة أجلاء , فكانت مدينة حران كعبة الأداب الآرمني , ومدينة الرها مهد معاهده الأدبية , وبلاد العراق منارة علومة ومعارفة. [62]

أما صناعة التعليم فقد اشتهر بها النصارى , فقاموا بادئ بدء مهاهدهم العلمية إلى أولية , فأبتدائية فعالية , وشادوا منذ أوائل القرن الرابع الميلادي أربع كليات أو جامعات لاهوتية منظمة واسعة الآرجاء ممتدة من سورية الى بلاد فارس أي في مدينة الرها ونصيبين والمدائن والأهوار , فأصبحت هذه المدن كعبة الآداب ومحط رواد العلم وهم يشدون الرحال إليها من كل حدب وصوب ليرتشقوا من مناهلها الآداب العذبة , وماعدا هذه المراكز العلمية فقد كان في كل مدينة وقرية مدرسة , وذكر توما المرجي والمستشرق لأبور أن دور التثقيف أنتشرت في المدن كافة وفي القرى وفي أغلب الآديار , [63]ولاحاجة الى ذكر أسماء معلمي العراق النصارى الذين نبغوا حينذاك لأن جميع رؤساء دينهم ورهبانهم كانوا مدرسين ومرشدين قد تربعوا على منابر التدريس

يهذبون الناس ويثقفونهم ويعلمونهم العلوم الدينية والدنيوية في معابدهم ومكتباتهم ومساكنهم , [64] ومما يؤيد الأمر أخبار بعض العرب الذين كانوا يختلفون الى الرهبان والكهنة النصارى في صوامعهم وأديرتهم ليتعلموا القراءة والكتابة , كما ذكر عن أبي نصر البراق بن روحان أنه كان يتردد الى راهب فيتعلم منه تلاوتة الأنجيل , وكما قالوا عن ورقة بن نوفل أنه كان يكتب بالعبرانية أي السريانية من الأنجيل ماشاء أن يكتب , ولعل الراهب الذي أشار اليه القريشيون بقولهم عن محمد) صلى الله عيه وسلم)) , (أنما يعلمه بشر , [65] ((كان أحد معلمي النصارى في مكة , كما تعلم أهلها الكتابة من بشر بن عبد الملك النصراني أخي أكيدر الكندي صاحب دومة الجندل , [66] ومما ينفي كل شك في مانقوله أن الكتابتين العربيتين اللتين وجدتا حتى اليوم من عهد الجاهلية هما لقوم من النصارى , وهي الكتابة المكتشفة في زبد في جوار الفرات يرقي عهدها الى السنة512 م كما تقدم , أي قبل الهجرة بمئة وعشر سنين , وهي في ثلاث لغات أي اليونانية والسريانية والعربية , تصرح بأن المشهد الذي أقيم هناك إنما شيد تذكارا للقديس سرجيوس الشهيد , [67] وكذلك اجتهد نصارى العراق في تدريس اللغة الآرامية ففصلوا مفرداتها وبحثوا عن معانيها ثم أوضحوا قواعدها وأحكامها وأصولها لتكون سهلة المأخذ قريبة الى الأذهان , ودرسوا ماعدا اللغة الآرامية اللغة العربية بقواعدها وآدابها , فقد علموا أصول الأنشاء , وفنون الشعر وضروب علم البيان فبرعوا وأتقنوا أساليبها ورفعوا شأنها. [68]

آثر الحيرة التعليمي ودورها في إنتشار الكتابة :

أقامت في القرن الثالث قبائل لخم اليمنية بجنوب العراق على أطراف البادية وأتخذت لها الحيرة مقرا , وأسست لنفسها دولة , وأعترف الفرس الساسانيون باستقلالها , ومنحوا أمراءها لقب الملك وأنتشرت النصرانية في الحيرة , فكان للمسيحين فيها أسقف كما كان لهم أسقف آخر في الآنبار. [69]

ويختلف المؤرخون حول تاريخ دخول النصرانية في الحيرة , فبعضهم يعيده الى وقت مبكر أواسط القرن الرابع الميلادي , والبعض الآخر يجعلة بالقرن الخامس , ومن المرجح أن هذا التاريخ هو الاصح لأن القرن الذي أنبثقت فيه النسطورية , وبدات تنتشر

في العراق بعد هجرتها من سورية وعدها مذهبا هرطقيا , وعلى أي حال فمن المؤكد أن النصرانية كانت على أنتشار واسع في الحيرة في القرن السادس الميلادي , [70] بعد أن أعتنقها الملك النعمان أبو قابوس 585) 613 م , (ويعود فضل تنصيرة الى الشاعر المسيحي عدي بن زيد العبادي , [71] فضلاعن تنصر الكثير من قبائل الحيرة والمنطقة المحيطة بها من بينهم بطون من بكر بن وائل ومنهم هاني بن قبيصة الشيباني من سادات بني شيبان , وبنو عجل منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي , وبني تغلب , وضبيعة , ويشكر , وجذام , وبقيت النصرانية بين قبائل عرب العراق زمنا بعد الفتح في الحيرة والكوفة والآنبار وماجاورها من الأصقاع [72]

أما أبرز القبائل المتنصرة في الحيرة فهم العباديون , وهم قوم من النصارى من قبائل شتى أنفردوا من الناس في قصور , وأشتهروا بنصرانيتهم وبمعرفتهم القراءة والكتابة في عهد جهلها أكبر الشعراء والنوانغ , ودليلنا على ذلك أن صبيا منهم قرأ للمتلمس الشاعر صحيفة أعطاها اياه الملك عمروبن هند ملك الحيرة موجهة الى عاملة على البحرين المكعبر , وكتب فيها هلاك المتلمس , فما أطلع على مضمونها ألا بواسطة هذا الصبي العبادي والقاها في نهر الحيرة وهرب , [73] لقد كان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة ودرس بعضهم العلوم , وأجادوا عدة لغات منها الآرامية والعربية والفارسية , وكان منهم زيد بن عدي العبادي. [74]

النصارى والكتابة العربية :

أول خدمة أداها نصارى العرب لقومهم تعليمهم الكتابة , ولما ظهر الإسلام في العشر الثاني من القرن السابع الميلادي لم تكن جزيرة العرب كما زعم البعض حديثة العهد بالكتابة , أنها كانت شائعة في بعض الأنحاء دون غيرها. [75]

أما الخط الحيري فيشكل مظهرا من مظاهر الثقافة العربية لدولة المناذرة , ولئن اختلف الدارسون في تعيين الموطن الذي نشأ فيه الخط العربي وحلقات انتقاله وتطوره , فأن الحيرة والآنباركانتا ضمن تلك الحلقات المتعددة من بلاد العرب , بل الاخيرة قبل الإسلام حين أوصلت الحيرة الكتابة الى مكة , ويؤيد ذلك ماجاء في مظان التراث

العربي عندما سئل المهاجرون ممن تعلمتم الكتابة , قالوا : من أهل الحيرة , وسئل أهل الحيرة عن ذلك فقالوا :من أهل الآنبار. (76)

وعلى الرغم من تحفظنا على رواية الخبر وأسلوب صياغته , فأن ذلك لايقلل من دور الحيريين وتطويرهم للخط العربي الأمر الذي جعل بعضا من الشعراء يفد على الحيرة ليتعلم الخط في مدارسها فمنهم المرقش الأكبر وأخيه حرملة , (77) ونوهنا سابقا الى دور الأنباط ومدى الأفادة التي قدموها للعرب في العراق حين نزلوا دونهم قبل أنشاء الحيرة والآنبار , وأن إيادا من أقدم القبائل العربية التي نزلت بالعراق والتي ينسب إليها نشأة الخط العربي على نحو مانرى , فمن أين جاءها هذا الخط خاصة وأن عرفنا أنه نبطي مشتق من الآرامي وموطنه شمالي الحجاز. (78)

قيل أجتمع ثلاثة نفر من طئ ببقة , وهم مرامر بن مرة , وأسلم بن سدرة , وعامر بن جدرة , فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية , فتعلمة منهم قوم من أهل الآنبار , ثم تعلمة أهل الحيرة من أهل الآنبار , (79) ثم لاننسى أن السريانية كانت معروفة في الحيرة والآنبار ومنطقة الشام ويدرس بها قبل الإسلام , وظلت كذلك الى مابعد الإسلام بثلاث قرون , وكان لأصحابها الفضل في تعليم أبناء المسلمين الكتابة العربية , كذلك كان لهم الفضل الأوحد في التراجم الكبرى التي نقلت من اليونانية والسريانية الى العربية. (80)

وفيما يتعلق بمدارس الحيرة فقد جاء في بعض المصادر أن أيليا الحيري مؤسس دير مار ايليا في الموصل درس العلوم الكهنوتية في مدرسة في الحيرة , كما تلقى مارعبدا الكبير دراسته في أحداى مدارس الحيرة , وفي الحيرة تعلم المرقش الأكبر وأخوه حرملة الكتابة على يد أحد النصارى من أهلها كما نوهنا , وكان بشر بن عبد الملك الكندي يأتي الحيرة فيقيم بها فتعلم الخط العربي من أهل الحيرة وعن طريقة تعلم سفيان بن أمية بن عبد شمس , وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة الكتابة , (81) وذكر المؤرخون أن الصبيان في الحيرة كانوا يتعلمون القراءة والكتابة في مدارسهم في الوقت الذي كان يجهلها أكبر شعراء العربية. (82)

إن مملكة الحيرة كانت مقصدا علميا يفد إليها أهل الجزيرة العربية ليمكثوا بها الوقت الذي ينالون فيه تعليمهم , ثم يعودون الى بلادهم متعلمين , [83] فضلا عن أشتهار الحيرة بالناحية العلمية والثقافية , فقد أزدهر التعليم فيها ودرسوا بصفة الفلسفة اليونانية وترجموها الى لغتهم وهي اللغة السريانية , وقد ساعدت هذه الترجمات على نقل هذه الفلسفة وترجمتها الى اللغة العربية في العصر العباسي الثاني , ولم تقتصر دراساتهم على الفلسفة فقط بل تعدى الى الطب والعلوم الاخرى وخاصة مايتصل بالحضارة الفارسية , لهذا أصبحت الحيرة أهم المراكز القديمة في نقل التراث الفكري القديم الفارسي واليوناني الى العرب قبل الإسلام , [84] ومما زاد في توسع هذه الحياة الفكرية هو أن سكان الحيرة كانوا يتعلمون اللغة السريانية لانها لغة بيعتهم وصلواتهم , كما هي في نفس الوقت لغة الأنباط التي يتكلمونها في بيعتهم , أذ أن نصارى العراق درسوا في مدارسهم لغة بني أرم لغة الثقافة والعلم أنذاك , درسوا مفردات اللغة وقواعدها وأصولها , وعلموا معها مبادئ العربية وقواعدها وآدابها في الأرضين التي كانت غالبية سكانها من العرب , ونجد في الموارد النصرانية إشارات تشير الى تدريس العربية في الآنبار والحيرة ,ولايعقل أن يكون المراد من العربية الكتابة والقراءة فقط , بل لابد وأن يعلم معها شيء من أصول الكتابة من كيفية قط القلم , ورسم الحروف , وأنواع الخطوط , ثم الأمثال والحكم , وقواعد اللغة وآدابها , أي منهج المدارس المقرر في الشرق الأدنى في ذلك العهد , وقد كان رجال الدين يسيرون عليه ويتبعونه في مدارسهم. [85]

أذ كانت الحيرة تزخر بمعاهد ومدارس العلم والكتاتيب والديارات والمكتبات , أذ تعد الكتاتيب من المراكز العلمية الأولى التي شهدها العراق قبل الإسلام , وهي تمثل ميدانا لتعليم التلاميذ المبادئ الأولية للمعرفة كالقراءة والكتابة والحساب والأمثال والحكم ومبادئ الدين , ولم تكن هذه الكتاتيب صغيرة فقد تعلم فيها مئات التلاميذ , [86] ولعل من بين هؤلاء التلاميذ الشاعر عدي بن زيد العبادي الذي ذكرته المصادر بأن أباه طرحه في الكتاب عندما كان صغيرا وبات من أفصح الناس وأنبههم بالعربية , وأشارت المصادر الى أعداد أخرى من الصبيان الذين كانوا يحذقون القراءة والكتابة. [87]

وقد مثل ظهور المدارس تطورا كبيرا في النشاط الثقافي والعلمي فقد شهد العراق في الفترة التي سبقت الإسلام ظهور عدد كبير من المدارس وصل عددها الى مايقارب الخمسين مدرسة وأهمها مدارس الحيرة والتي كان التلاميذ يجدون فيها كل التسهيلات مما ساعدهم على اقتباس العلوم والمعارف , اذ كانت المدارس تعلم في صفوفها العلوم والمعارف المختلفة وفي شتى الميادين والمجالات. (88)

و تعد مدارس الحيرة من بين المدارس التي كان لها دور مهم آنذاك في التعليم , إذ أقامها نصارى الحيرة في جوار بيعهم وكنائسهم وديرتهم أو داخلها يعلمون فيها العربية والآرامية , ومن أبرز معلمي هذه المدارس قيواي , وربان خداهوي , وسرجيس بن ساحيق , (89) وما كانت المدارس والكتاتيب منتشرة في حاضرة المملكة وحسب وأنما كانت منتشرة كذلك في مدن أخرى بل وفي القرى , ففي مسير خالد بن الوليد) رضى الله عنه (من عين التمر وجد في كنيسة قرية من قراها تسمى) النقيرة (أربعين غلاما يتعلمون , وكان فيهم عمران مولى عثمان بن عفان , وهذا يؤيد ماقاله دوفال : أن السريان النصارى كانوا يذهبون للدراسة في المدارس الملحقة بالكنائس والأديرة , وقد ذهب العرب الى أبعد من هذا أذ قالوا : أن أول من كتب منهم بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم من أهل الحيرة , (90) كما ذكر المؤرخون أن في عهد الخليفة عمر بن الخطاب) رضى الله عنه (كان جفينة النصراني من أهل الحيرة يعلم الكتابة في المدينة (91)وعلى كل حال فلابد من الأعتراف بفضل النصارى في العراق لاشاعة الخط في جهات العرب.

ومما ساعد على أنتقال الخط والكتابة الى قريش وبقية مدن الحجاز هو ذلك الطريق التجاري المباشر الذي كان يربط الحجاز بالحيرة وغيرها من مدن العراق , وكان بعض رجالات مكة على اتصال بأهل الحيرة والآنبار يقصدونها لمأرب مختلفة , أذ كان حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان من أبرز تجار مكة الذين كانت لهم مثل هذه الصلات , وقد بينت الاخبار أنتقال الكتابة الى حرب بن أمية الذي أرتبط بعلاقات حميمة مع بشر بن عبد الملك أخي أكيدر صاحب دومة الجندل كما نوهنا , أذ كان بشر يأتي مكة تاجرا

وله فيها متجر فتعلم حرب منه الخط ونقله الى مكة , [92] وقد فاخر أحد الحيريين قريشا بذلك قائلا: [93]

لاتجحدوا نعماء بشر عليكم فقد كان ميمون النقية أزهرا

أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم من المال ماقد كان شتى مبعثرا

إذ أن الباعث الأول على تعلم أهل الحجاز ولاسيما المكيين الكتابة هي حاجتهم في أدارة أعمالهم الحسابية , أذ ان التجارة تستلزم الاما بقيود وحسابات , وقد ساعدت هذه الصلات التجارية على نقل الخط والكتابة الى مكة وبقية مدن الحجاز , [94] وذهب بعض المستشرقين إلى أن كتبة الوحي إنما كتبوا بخط أخذ من الجزم أي من خط أهل الحيرة وذلك بحكم أتصال أهل مكة بالحيرة. [95]

أما شيوع التدوين في الحيرة فقد ساعد على وضوح تاريخها , إذ يقول المؤرخون : كان آمراء آل نصر بن ربيعة ومن كان من ولاة ملوك الفرس وعمالهم على ثغر العرب الذين هم ببداية العراق عند أهل الحيرة منبعا لما كان مثبتا عندهم في كنائسهم وإشعارهم ,وقد حدث عن هشام بن محمد الكلبي أنه يقول : أني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى , وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ,وفيها ملكهم وأمورهم كلها , [96] ونلاحظ في أواخر دولة المناذرة إزدهار العلوم والآداب بحيث كان النعمان بن المنذرآخرملوك اللخميين مولعا بالشعر والشعراء فنسخ له أشعار العرب ودونوها في الكراريس وجعلها في خزائن قصره , [97] فضلاعن ذلك كان للتعليم الديني أهمية في معرفة الفلسفة ومباحثها. [98]

وكان لقدوم العرب المسلمين الى بلاد الرافدين أكبر الآثر في تفسير الحياة الفكرية لدى العرب المسيحين , أذ أحدث توسعا وتمازجا ثقافيا وحركة علمية جديدة من تمازج الأفكار , مما جعل سكان العراق يقبلون على دراسة اللغة العربية وآدابها وعلى المراجع الأسلامية والقرآن الكريم والحديث الشريف , فأنشئت مدارس تركت بدورها نتائج عظيمة أنعكست على المسلمين والمسيحين على حد سواء , أذ برز العديد من العلماء واشتغلوا بالثقافة العربية على مستوى رفيع حتى لمعت أسماء كثير منهم في كتب التاريخ , قلنا أقبل المسيحيون بعد الفتح الإسلامي للعراق على تعلم اللغة العربية ودراسة آدابها وأخذوا

يصوغون أفكارهم وعلومهم وآدابهم بما ينسجم والتقاليد العربية والفكر الإسلامي , فأصبحت العربية لغة الحضارة السائدة في العراق.[99]

وخلاصة القول : أن حضارة العراق حملتها مدنه المتعاقبة زمنا فكل مدينة مسيرة المدينة التي بدأتها أختها عندما تتعرض الأولى لعوادي الزمن , وقد أكملت مدينة الحيرة أومملكة الحيرة مسيرة المدن السابقة في نقل وتعليم الخط العربي والكتابة العربية , وأن الخط الحيري هو أساس الخط العربي , ومن المعروف أن الخط العربي الكوفي هو تطور للخط الحيري , لذا فالكوفة تأخذ دور الحيرة بعدما أنتهى تحرير العراق وأنتهاء دور الأخيرة على مسرح الأحداث. [100]

Abstract

This study sheds light on the role of Christian people in the transmission and development of Writing in Arab countries. The study concludes that Christian people played an evident role in Writing development especially in the north and middle of Peninsula. Christian people worked in trade which granted them the chance to contact other people and in turn to develop handwriting reaching to severed regions . Hence the alphabetical handwriting appeared for the first time in Hira , and then to other places .

الهوامش:

(1)زغلول , الشحات السيد , السريان والحضارة الإسلامية , الهيئة المصرية العامة للكتاب) , الاسكندرية 1975 م , (ص. 20

(2)زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص . 23

(3)الذنون , عبد الحكيم , تاريخ الشام القديم , ط , 1دار الشام القديمة للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع) , دمشق 1999 م , (ص .200

(4)العبيدي , صلاح حسين وآخرون , الخط العربي , مطبعة الموصل) , بغداد , (1990ص 14 ؛أحمد , محمد خليفة حسن , رؤية عربية في تاريخ الشرق الادنى القديم وحضارته , دار أنباء للطباعة والنشر) , القاهرة1998 م , (ص 237 , 236 .

(5)أحمد , رؤية عربية في تاريخ الشرق الادنى القديم وحضارتة , ص 237 , 236 ؛ أسحق , رفائيل بابو , مدارس العراق قبل الأسلام , مطبعة شفيق) , بغداد (1955 ,ص . 38 , 37

(6)أحمد , رؤية عربية , ص. 141

(7)زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 27

(8)الأحمدين , أحمد , الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية , ط , 1مركز الحضارة العربية) , مصر , (1999 ص . 10

(9)زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 92

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص . 92

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 93

• إسماعيل , حلمي محروس , الشرق العربي القديم وحضارته ـ بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة , مؤسسة شباب الجامعة) , الاسكندرية 1997 م , (ص 271 ؛عباس , أحسان , تاريخ دولة الأنباط , ط , 1دار الشروق للنشر والتوزيع) , عمان , (1987 ص . 24

• الأحمدين , الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية , ص 12 ؛ العبيدي , الخط العربي , ص ,15 ينظر ملحق رقم . (4) (3) , (2) , (1)

• إسماعيل , الشرق العربي القديم وحضارته , ص . 271

• الأحمدين , الوقوف على الأمية , ص ص. 17 ,12

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 93

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 93

• عباس , تاريخ دولة الأنباط , ص. 25 , 24

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 94

• الجبوري , سهيلة ياسين , أصل الخط العربي وتطورة حتى نهاية العصر الأموي , مطبعة الأديب البغدادية) , بغداد , (1977 ص ص. 41 , 30

• العودات , حسين , العرب النصارى عرض تأريخي , ط , 1 الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع) , دمشق 1992 م , (ص. 36

• العودات , العرب النصارى , ص. 42

• العودات , العرب النصارى , ص. 42

• الأحمدين , الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية , ص. 17

• الأحمدين , الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية , ص. 19

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 75

• الجبوري , أصل الخط العربي وتطوره , ص ص. 30 , 28

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص.96 , 95

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص . 96

• العودات , العرب النصارى عرض تأريخي , ص. 42

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص ص. 96 , 37

• الأحمدين , الوقوف على الأمية , ص. 24

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 98 , 97

• أسحق , رفائيل بابو , تأريخ نصارى العراق 2006 – 100) م , (تقديم : المطران يوحنا إبراهيم , ط , 1 شركة قومس للنشر والتوزيع) , بيروت 2008 م , (ص 26 ؛ أسحق رفائيل , مدارس العراق قبل الإسلام , ص 35 ؛ قاشا , سهيل , لمحات من تأريخ نصارى العراق , مطبعة شفيق) , بغداد 1982 م , (ص. 5

• أسحق , رفائيل , تأريخ نصارى العراق 2006 – 100) م , (ص. 31

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق100) ـ 2006م , (ص 37 , 36 ؛ شير , أدي , تاريخ كلدو وأثور , المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين) , بيروت , (1913 المجلد , 2 ص. 60

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق100) .2006 م , (ص. 26

• علي , جواد , المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام , أوند دانش للطباعة والنشر) ,إيران 2006 م , (ج , 2ص.489

• العودات , العرب النصارى عرض تأريخي , ص ص. 31 , 29

• أبونا , الأب البير , تاريخ الكنيسة الشرقية من أنتشار المسيحية حتى مجئ الإسلام , المطبعة العصرية) , الموصل1973 م , (ج , 1ص. 84

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 73

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 73

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 75

• شير , تاريخ كلدو وأثور , ج , 2ص 209 ؛ زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 76 , 75

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 77

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص. 81

• اسحق , رفائيل , مدارس العراق قبل الإسلام , ص . 35

• غنيمة , يوسف رزق الله , الحيرة المدينة والمملكة العربية , مطبعة دنكور) , بغداد 1936 م , (ص 31 , 30 ؛ شير , تأريخ كلدو وآشور , ج , 2ص. 2

• إسحق , رفائيل , مدارس العراق قبل الإسلام , ص. 36 , 35

• شير ,تأريخ كلدو وآشور , ج , 2ص. 272

• إسحق , رفائيل , تأريخ نصارى العراق , ص. 37

• إسحق , رفائيل , تأريخ نصارى العراق , ص. 43

• إسحق , رفائيل , تأريخ نصارى العراق من إنتشارالنصرانية في الأقطار العراقية الى أيامنا , مطبعة المنصور), بغداد , (1948 ص 13, ؛ شير ,تأريخ كلدو وآشور , ج , 2ص.12

• إسحق , رفائيل , تأريخ نصارى العراق من إنتشارالنصرانية , ص 15 ؛ إسحق , رفائيل , تأريخ نصارى العراق 2006 – 100) م , (ص 39 ؛ شير ,تأريخ كلدو وآشور , ج , 2ص.30

• إسحق , رفائيل , تأريخ نصارى العراق 2006 – 100) م , (ص 44 ؛ اسحق , رفائيل , مدارس العراق قبل الإسلام , ص. 48

• اسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق100) .2006 م , (ص 43 ؛ اسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق من انتشار النصرانية , ص. 20 , 19

• اسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق100) . 2006 م , (ص. 43

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق منذ أنتشار النصرانية , ص. 34

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق منذ أنتشار النصرانية , ص .63

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق منذ أنتشار النصرانية , ص.63

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق من أنتشار النصرانية , ص 65 , 64 ؛ أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق100) . 2006 م , (ص.77

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق منذ أنتشار النصرانية , ص. 47

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق100) . 2006 م , (ص.44 , 43

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق منذ أنتشار النصرانية , ص.21

• سورة النحل , الاية. 13 :

• شيخـو ,لويـس , النصـرانيــة وآدابهـا بيـن عـرب الجاهليـة , ط , 2دار المشـرق) , بيروت1989 م , (القسم , 2 ج , 1ص. 390

• شيخو , النصرانية وآدابها , القسم , 2 ج , 1 ص ,156 ينظر ملحق رقم. (2)

• أسحق , رفائيل , مدارس العراق قبل الإسلام , ص.43

• يتيم , الأب ميشيل والاب أغناطيوس ديك , تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية , ط , 2مطبعة احسان) , حلب1963 م , (ص. 112

• العودات , العرب النصارى عرض تأريخي , ص. 44

• تييم , تاريخ الكنيسة الشرقية , ص 112 ؛ دغيم , سميح , موسوعة الأديان السماوية والوضعية , ط , 1دار الفكر اللبناني) , بيروت , (1995 ص. 68

• أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق100) .2006 م , (ص ص 71 , 68 ؛ دغيم , موسوعة الأديان, ص 68 ؛ علي , جواد , المفصل , ج , 6 ص.466

• غنيمة , الحيرة , ص 17 , 16 ؛ إسماعيل , الشرق العربي القديم , ص 355 ؛ دغيم , موسوعة الأديان , ص 71 ؛ سليم , أحمد أمين , معالم تاريخ العرب قبل الإسلام , مكتب كريدية أخوان) , بيروت بلا.ت , (ص. 216

• إسمـاعيل , الشـرق العربـي القديم , ص 355 ؛ علي , جواد , المفصل , ج , 3 ص. 135

• شيخو , النصرانية , القسم , 2 ج , 1ص. 152

• الأرمنـي , أسكـندر بـن يعقـوب بـن أبكـار , نهاية الأرب في أخبار العرب , مطبعة العقلة) , مرسيلية , (1953 ص 38 ؛ العيثاوي , أحمد حسين عبد , الآدب في الحيرة قبل الإسلام , ط , 1دار الشؤون الثقافية العامة) , بغداد2008 م , (ص ,29 ينظر خارطة رقم. (1)

• العيثاوي, الأدب في الحيرة قبل الإسلام , ص.30

• الاحمدين , الوقوف على الأمية , ص. 29

• الجبوري , أصل الخط وتطورة , ص 24 ؛ الأسد , ناصر الدين , مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية , دار المعارف) , وصر , (1956 ص.24

• الاحمدين , الوقوف على الأمية , ص. 30

• سالم , السيد عبد العزيز , تاريخ العرب قبل الإسلام , مؤسسة الثقافة الجامعية ,)الاسكندرية 1973 م , (ص 191 ؛ غنيمة , الحيرة , ص , 54 ينظر خارطة رقم (1) .

• سالم , تاريخ العرب قبل الإسلام , ص 296 ؛ غنيمة , الحيرة , ص. 55

• الأحمدين , الوقوف على الأمية , ص.21

• الراوي , ثابت إسماعيل وعبد الله سلوم السامرائي , محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام وحياة الرسول الكريم , مطبعة الأرشاد) , بغداد1969 م , (ص.43

• علي , جواد , المفصل , ج , 8ص.231

• إسماعيل , الشرق العربي القديم , ص 360 ؛ أسحق , رفائيل , مدارس العراق , ص 105 .

• علي , جواد , المفصل , ج , 8 ص 229 ؛ العيثاوي , الأدب في الحيرة , ص 29 ؛ الأسد , مصادر الشعر الجاهلي , ص . 55 , 54

• علي , جواد , المفصل , ج , 8ص 229 ؛ أسحق , رفائيل , تاريخ نصارى العراق من أنتشار النصرانية , ص. 20

• أسحق , رفائيل , مدارس العراق قبل الإسلام , ص ص. 107 , 105

• غنيمة , الحيرة , ص 55 ؛ العيثاوي , اللأدب في الحيرة , ص. 29

• العسلي , خالد , دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلامية المبكرة , تقديم : عماد عبد السلام رؤوف , دار الشؤون الثقافية العامة) , بغداد , (2002 ج 1 ,ص 141 ؛ شيخو , النصرانية وآدابها , القسم , 2 ج , 1 ص.390

• علي , جواد , المفصل , ج , 8 ص. 121

• شيخو ,لويس , شعراء النصرانية قبل الإسلام , ط , 2دار المشرق) , بيروت , بلا.ت , (القسم , 4 ص. 114

• الملاح , هاشم يحيى , الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام , دار الكتب للطباعة والنشر) , الموصل1994 م , (ص. 304

• علي , جواد , المفصل , ج , 8ص.131 ,130

• زغلول , السريان والحضارة الإسلامية , ص.120

• العسلي , دراسات , ج , 1ص.141

• العسلي , دراسات , ج , 1ص .142

• قاشا , لمحات من تاريخ نصارى العراق , ص. 76

• العيثاوي , الأدب في الحيرة قبل الإسلام , ص 31 ؛ اسماعيل , الشرق العربي القديم ,ص. 361

المصادر والمراجع:

1. الاحمدين , أحمد , الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية , ط , 1مركز الحضارة العربية) , مصر 1999 م. (

2. أبونا , الأب البير , تاريخ الكنيسة الشرقية من أنتشار المسيحية حتى مجئ الإسلام , المطبعة العصرية) , الموصل. (1973

3. أحمد , محمد خليفة حسن , رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته , دار أنباء للطباعة والنشر) , القاهرة1998 م. (

4. الأرمني , أسكندر بن يعقوب بن أبكار , نهاية الأرب في أخبار العرب , مطبعة العقلة) , مرسيلية. (1953

5. الأسد , ناصر الدين , مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية , دار المعارف) , مصر. (1956

6. الجبوري , سهيلة ياسين , أصل الخط العربي وتطورة حتى نهاية العصر الأموي , مطبعة الأديب البغدادية) , بغداد. (1977

7. دغيم , سميح , موسوعة الآديان السماوية والوضعية , ط , 1 دار الفكر اللبناني) ,بيروت. (1995

8. الذنون , عبد الحكيم , تاريخ الشام القديم , ط , 1دار الشام القديمة للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع) , دمشق1999 م. (

9. الراوي , ثابت إسماعيل وعبد الله سلوم السامرائي , محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام وحياة الرسول الكريم , مطبعة الأرشاد) , بغداد1969 م. (

10. زغلول , الشحات السيد , السريان والحضارة الإسلامية , الهيئة المصرية العامة للكتاب) , الاسكندرية1975 م. (

11. سالم , السيد عبد العزيز , تاريخ العرب قبل الإسلام , مؤسسة الثقافة الجامعية) , الاسكنرية1973 م. (

12. أسحق , رفائيل بابو.

تاريخ نصارى العراق من أنتشار النصرانية في الأقطار العراقية الى أيامنا , مطبعة المنصور) , بغداد . (1948

مدارس العراق قبل الإسلام , مطبعة شفيق) , بغداد. (1955

تاريخ نصارى العراق100) . 2006 م , (تقديم : المطران يوحنا إبراهيم , ط , 1شركة قومس للنشر والتوزيع) , بيروت2008 م. (

13. سليم , أحمد أمين , معالم تاريخ العرب قبل الإسلام , مكتب كريدية أخوان) بيروت ,بلا.ت. (

14. إسماعيل , حلمي محروس , الشرق العربي القديم وحضارته ـ بلاد مابين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة , مؤسسة شباب الجامعة) , الاسكندرية1997 م. (

15. شيخو , لويس.

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية , ط , 2دار المشرق) , بيروت. (1989

شعراء النصرانية قبل الإسلام , ط , 2دار المشرق) , بيروت , بلا.ت. (

16. شير ,أدي , تاريخ كلدو وأثور ,المطبعة الكاثولكية للأباء اليسوعيين) , بيروت 1913) .

17. عباس , أحسان , تاريخ دولة الأنباط , ط , 1دار المشرق للنشر والتوزيع) , عمان 1987م. (

18. العبيدي , صلاح حسين وآخرون , الخط العربي , مطبعة الموصل) , بغداد . (1990

19. العسلي , خالد , دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلامية المبكرة , تقديم : عماد عبد السلام رؤوف , دار الشؤون الثقافية العامة) , بغداد. (2002

20. علي , جواد , المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام , أوند دانش للطباعة والنشر) , إيران 2006 م. (

21. العودات , حسين , العرب النصارى عرض تأريخي , ط , 1الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع) , دمشق. (1992

22. العيثاوي , أحمد حسين عبد , الآدب في الحيرة قبل الإسلام , ط , 1دار الشؤون الثقافية العامة) , بغداد2008 م. (

23. غنيمة , يوسف رزق الله , الحيرة المدينة والمملكة العربية , مطبعة دنكور) , بغداد 1936م. (

24. قاشا , سهيل , لمحات من تاريخ نصارى العراق , مطبعة شفيق) , بغداد1982 . (

25. الملاح , هاشم يحيى , الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام , دار الكتب للطباعة والنشر) , الموصل1994 م. (

26. يتيم , الأب ميشيل والأب أغناطيوس ديك , تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية , ط , 2مطبعة الأحسان) , حلب1963 م. (

نقش ام الجمال : وقد عثر على هذا النقش الحجري في ام الجمال.وتقع في جنوب حوران من اعمال شرق الاردن • وهو يعود لقبر فهر بن سلبي مربي جذيمة ملك تنوخ الذي عاصر الملكـة الزباء • وقـد كتب بالخط النبطي المتأخر وتاريخه نحو ٢٥٠ ب•م•

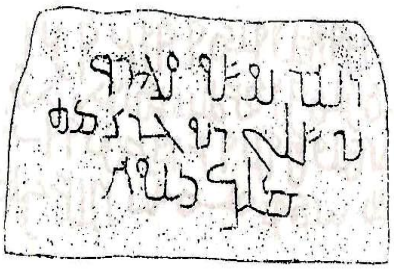

ملحق رقم (1)

نقش النمارة : وهو لقبر امرىء القيس بن عمر وملك العرب وعاصمته الحيرة عثر عليه في النحارة وهي جبل الدروز وتاريخه سنة ٣٢٨ ب•م• ويعتبر النص العربي الاول •

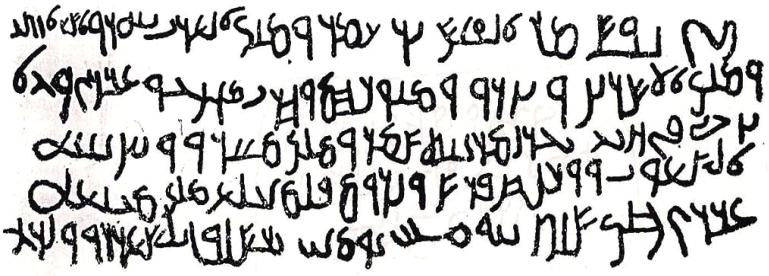

ملحق رقم (2)

نقش زيد : وقد عثر عليه في زيد وهي خربة بين قنسرين ونهر الفرات وقـد كتب بثلاث لغات وهـي اليونانية والسريانية والعربية وتاريخه يعود الى سنة ٥١٢ ب٠م٠ عليه اسماء الاشخاص الذين شيدوا الكنيسة ٠

سنة ٥١٢ ب٠م عليه أسماء الاشخاص الذين شيـــدوا الكنيســـة ٠

ملحق رقم (3)

نقش حران : عثر عليه في حران في المنطقة الشمالية من جبل الدروز كتب باليونانية والعربية على حجر وضع فوق باب كنيسة وتاريخه يعود الى سنة ٥٦٨ ب٠م٠ ويعتبر هذا النقش اول نص كامل في جميع كلماته وتعابيره ٠

ملحق رقم (4)

سلسلة الخط العربي

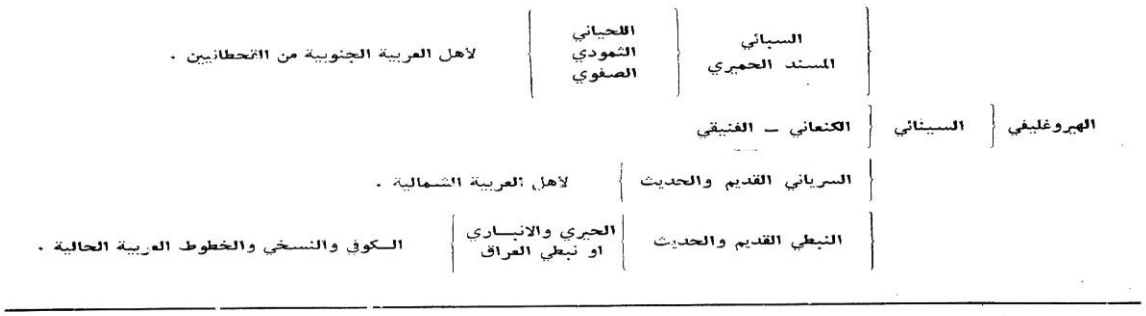

(صور الخط العربي)
ص ٣٠٢

ملحق رقم (5)

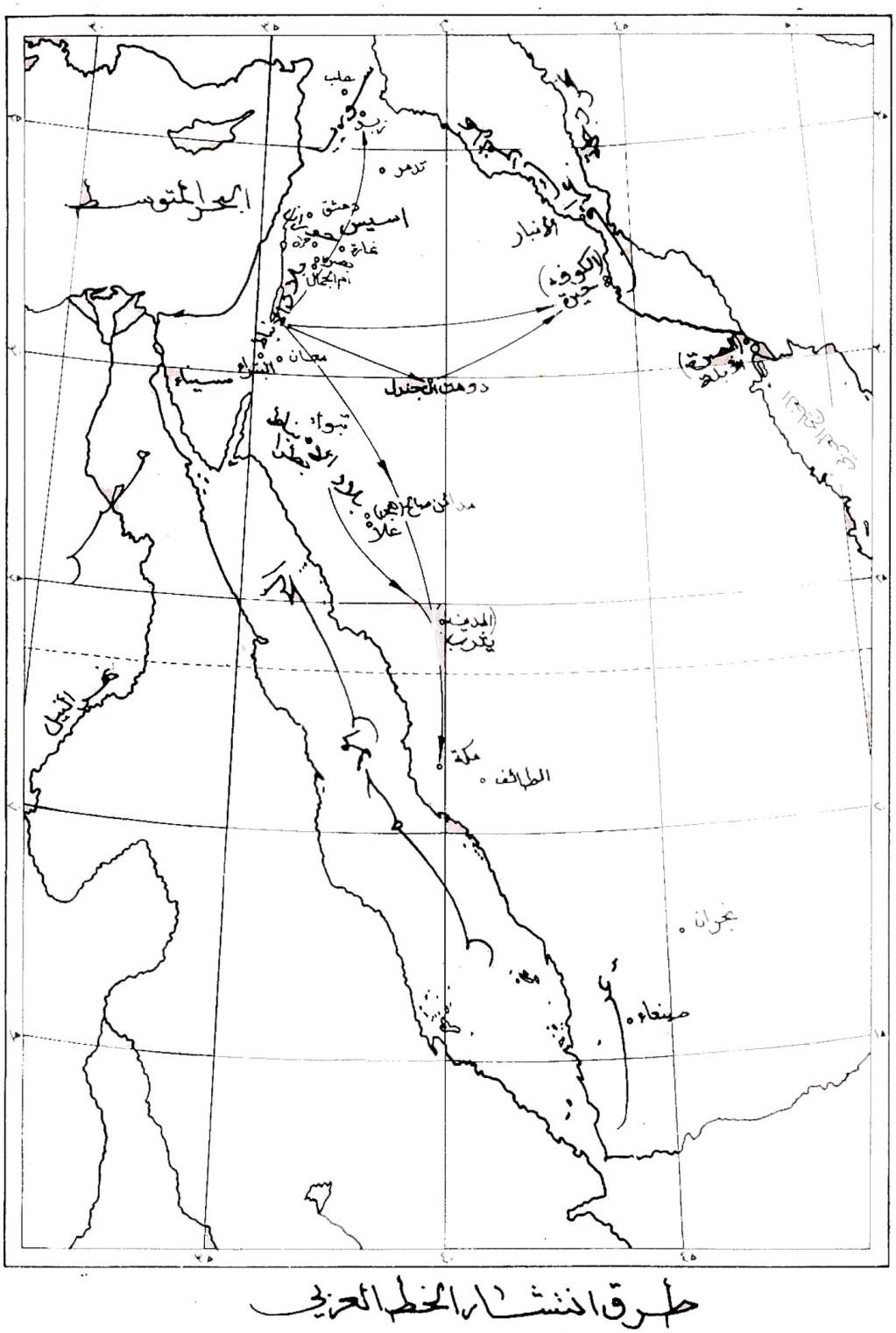

طرق انتشار الخط العربي

خارطة رقم (1)